

## أضواء البيان

@ 186 إليه يعود الضمير إلى اللهو ، وهذا توجيه قد يسوغ لغة كما في قول نابغة  
ذبيان : وقال الزمخشري : حذف أحدهما لدلالة المذكور عليه ، وذكر قراءة أخرى ، انفضوا  
إليه يعود الضمير إلى اللهو ، وهذا توجيه قد يسوغ لغة كما في قول نابغة ذبيان : %  
وقد أراني ونعما لاهبين بها % والدهر والعيش لم يهمم بإمرار ) .  
فذكر الدهر والعيش ، وأعاد عليهما ضميراً منفرداً اكتفاءً بأحدهما عن الآخر للعلم به ،  
وهو كما قال ابن مالك : وحذف ما يعلم جائز . .

وقد ذكر الشيخ رحمه الله لهذا نظائر في غير عود الضمير ، كقوله تعالى : { وَجَعَلَ  
لَكُمْ سَرَابِئِلَ تَقْرِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِئِلَ تَقْرِيكُمْ بِأَسْكَكُمْ } ، فالتى تقي  
الحر ، تقي البرد ، فاكتفى بذكر أحدهما لدلالته على الآخر ، ولكن المقام هنا خلاف ذلك . .  
وقد قال الشيخ عن هذه الآية في دفع إيهام الاضطراب : لا يخفى أن أصل مرجع الضمير هو الأحد  
الدائر بين التجارة واللهو ، بدلالة لفظة أو على ذلك ، ولكن الضمير رجع إلى التجارة  
وحدها دون اللهو ، فبينه وبين مفسره بعض منافاة في الجملة ، والجواب : أن التجارة أهم  
من اللهو وأقوى سبباً في الانفضاض عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنهم انفضوا من أجل  
الغير واللهو كان من أجل قدومها ، مع أن اللغة يجوز فيها رجوع الضمير لأحد المذكورين  
قبله . أما في العطف بأو فواضح ، كقوله تعالى : { وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ  
إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا } . .

وأما الواو فهو فيها كثير كقوله { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ  
وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ } وقوله { وَاللَّهِ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ } ،  
وقوله : { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذِّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي  
سَبِيلِ اللَّهِ } . .

أي أن هذه الأمثلة كلها يذكر فيها أمران ، ويعود الضمير على واحد منهما . .  
وبناء على جواب الشيخ رحمه الله تعالى عليه ، يمكن القول بأن عود الضمير على أحد  
المذكورين ، إما لتساويهما في المصدق ، وإما لمعنى زائد فيما عاد عليه الضمير . .  
فمن المتساويين قوله تعالى : { وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا } لتساويهما  
في النهي والعصيان ، ومما له معنى زائد قوله تعالى : { وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ  
وَالصَّلَاةِ } وإنها أي الصلاة ، لأنها أخص من عموم الصبر ، ووجود الأخص يقتضي وجود  
الأعم دون العكس ، ولأن الصلاة وسيلة للصبر ، كما في الحديث : ( كان صلى الله عليه وسلم إذا

حزبه أمرهم فزع إلى الصلاة ) .